٧٠
زفرة لا ترد

[الطويل]

أَلَا لَـيْـتَ لـيـلـى أَطْـفَـأَتْ حَـرَّ زَفْـرَةٍ
أُعـالِـجـهـا لا أسـتـطـيـع لـهـا رَدَّا[١]

إذا الـرِّيـحُ مـن نـحـوِ الـحِـمـى نَـسَـمَـتْ لـنـا
وجَـدْتُ لِـمَـسْـراهـا وَمَـنْـسَـمِـهـا بَـرْدَا[٢]

عـلـى كَـبـدٍ قـد كـاد يُـبْـدِي بـهـا الـهَـوى
نُـدوبـاً وبَـعْـضُ الـقَـوْمِ يَـحـسَـبُـنـي جَـلْـدَا[٣]

وإِنِّـي يَـمَـانِـيُّ الـهَـوَى مُـنْـجِـدُ الـنَّـوى
سَـبـيـلانِ أَلْـقـى مِـنْ خـلافِـهِـمـا جَـهْـدَا[٤]

سـقـى الـلَّـه نَـجْـداً مِـنْ رَبـيـعٍ وَصَـيِّـفٍ
ومـاذا يُـرَجَّـى مـن بـيـعٍ سـقـى نَـجْـدَا[٥]

بـلـى إِنَّـه قـدْ كـان لـلـعـيـن قُـرَّةً
ولـلـصَّـحْـبِ والـرُّكـبَـانِ مَـنْـزِلَـةً حَـمْـدَا[٦]

---

(١) يتمنّى لو أن ليلى تُعينه على التخلّص من زفرة حرّى لا يستطيع الشاعر التصدّي لها بقدرته الذاتية، والعِلاج بيد حبيبته.

(٢) والذي يطفئ ضرام ذلك اللهب ريح يسري من ديار ليلى ناعماً منعشاً يحيي الروح والنفس بطراوته وبرودته.

(٣) الندوب: آثار الجروح. تسري تلك النسمات الرقيقة، فتنعش كبداً حرّى أضرم فيها الهوى حبًّا وجرّح صميمها، ولم تشف بعد وثَمّة أُناس يظنون أنّني قادر على الاحتمال والصبر.

(٤) والمشكلة لدى الشاعر أنّ حبّه يمانيّ، ولكنّه مبعد في نجد، وهو يُعاني مأساة تنازع اليمين والشمال النجديّ، وكلاهما يشدّ به نحوه.

(٥) و (٦) يدعو الشاعر بسقيا ربيع نجد دعاء خير وأمل، ولكن ما الذي يأتي به ربيع نجد من أمل وخير؟ ويجيب الشاعر أن ذلك الربيع كان بهجة العين والقلب للصحب النازلين في دياره محمودة.

أَبـى الـقـلـبُ أَنْ يَـنـفَـكَّ عـن ذِكْـرِ نِـسْـوَةٍ
رِقـاقٍ ولـم يُـخْـلِـفْـنَ شُـوْمـاً ولا نُـكْـدَا[١]

إِذا رُحْـنَ يَـسْـحَـبْـنَ الـذّيـولَ عَـشِـيَّـةً
وَيَـقـتُـلْـنَ بـالأَلْـحـاظِ أنـفـسَـنـا عَـمْـدَا[٢]

مَـشَـى عَـيْـطَـلَاتٌ رُجَّـحٌ بـحـضـورهـا
روادِفُ وَعْـثَـاتٌ تَـرُدُّ الْـخُـطـى رَدَّا[٣]

وتَـهـتَـزُّ لـيـلـى الـعـامـريَّـةُ فـوقَـهـا
ولاثَـتْ بِـسِـبِّ الـقَـزِّ ذَا غُـدُرٍ جَـعْـدَا[٤]

إِذا حـرَّكَ الـمِـدْرَى ضَـفـائِـرَهـا الـعُـلَا
مَـجَـجْـنَ نَـدَى الـرِّيـحـانِ والـعَـنْـبَـرَ الـوَرْدَا[٥]

---

(١) القلب معلّق ولا يزال يذكر نسوة تتمثل بهنّ رقّة ولم يحملْن للشاعر إلّا الخير والأمل والحبّ؛ فالشؤم والنكد ليس من طبعهنّ.

(٢) فهنّ لا يتعمدْن الإساءة إذا خرجن عند الأصيل يتمشين بلباسهنّ تيّاهات بجمالهن، يرمين سهام ألحاظهنّ القاتلة عمداً لمن يردْن قتله.

(٣) عيطلات، واحدتها عيطلة: الطويلة العُنُق الجميلة. رُجَّح: متمايلات في مشيهنّ. روادف: يتبع بعضهنّ بعضاً. وَعْثات: ليّنات، يصف الشاعر الركب وهو يسير، حيث تتوالى النياق الطويلة الأعناق الجميلة، وتميس في مشيها وتردف خلفها الإبل اللينة وتسير بسيرها.

(٤) لاثت: لفّت. السِّب: الخمار. الغُدُر، واحدتها غديرة: خصلة من الشعر. تمتطي ليلى إحدى تلك النياق، وقد احتجبت بخمار حريريّ يغطي بعضاً من رأسها ويظهر بعضاً من ضفائرها المتجعّدة.

(٥) المِدرى: المشط. مججن العطر: تَضوّع العطر وانتشر. وهي إذا امتشطت وعانق المشط ضفائرها العالية، فاح العطر وملأ الأرجاء، بمختلف الأنواع من الريحان والعنبر الوردي الفوّاح.